فهمت إذ لا يخفى عليك يا ذا البصيرة فى هذا الوقت يتذكر الإنسان أولاده وعشيرته وأحفاده ويحن إلى أحبابه ووطنه » (٢٠) ، ولا أعرف تعليلاً لهذا الثقل فى أسلوب الكاتب فى مثل هذه المواقف الإنسانية إلا أنه كان عالماً واسع الاطلاع على العلوم المتقدمة فى الغرب ، ولم يكن على الدرجة ذاتها من التعرف على الآداب الكاشفة لأسرار النفس ، بحيث تيسر المعرفة وقدرة تمييز المشاعر أسلوب التعبير .

ومن طرائف الروايات فى « علم الدين » مما يصح أن يكون تعليمياً ما ورد فى المسامرة السابعة عشرة عن البحر وعجائبه قول الخواجا « عواصف البحر » ، فانبرى له الشيخ علم الدين مصححاً مستعرضاً علمه بأسماء الرياح فقال : « يقال للرياح البحرية قواصف لأنها قد تفعل القصف ، وللرياح البرية عواصف لأنها قد تحمل العصف وهو ما يبس من أوراق الأشجار، وكلاهما ليس من قبيل الاسم بل من قبيل الوصف، كما يقال للرياح التى تلقح إناث الأشجار من ذكورها : اللواقح، وللمختلفة الشديدة : الحواشك ، وللحارة فى الصيف: البوارح وللتى تقدم المطر فتجئ بليلةَ المبشرات ، وللتى مع المطر المعصرات ، وللتى تثير الأغبرة الأعاصير ، وللتى تحمل السفا - وهو دقيق ما تحات من النبات : السواقى ، وهذه